سفر هوشع

٤

الإصحاح الرابع

بدءً من هذا الجزء من السفر لا نقرأ كثيراً عن الحياة الشخصية للنبي هوشع، وفي النصف الثاني من السفر نلاحظ التركيز على خيانة الأمة اليهودية (إسرائيل ويهوذا) للرب، ونفهم المقصود بالزنى الروحي .. وأيضاً في هذا الإصحاح تحذيرات من الرب للشعب والمملكة المتمردة، مناشدة من الرب لضمير شعبه وكأنه يستعطفهم ثم يرثي لحالة شعبه المتمرد ثم يعلن لهم خفايا قلوبهم.

١. مواجهة وقضاء وتهديد (٤: ١ – ٣)
تبدأ الأعداد بصورة تعبيرية لجلسة محاكمة.. يقرأ القاضي الاتهامات التي تصف أخطاء وخطايا هذا الشعب الذي تعهد قديماً بطاعة الرب حين قالوا: " كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ" (خر ١٩: ٨). ولعل صورة المحاكمة هذه ليست جديدة على مسامعهم "لِمَاذَا تُخَاصِمُونَنِي؟ كُلُّكُمْ عَصَيْتُمُونِي "لأَنَّ لِلرَّبِّ خُصُومَةً مَعَ الشُّعُوبِ. هُوَ يُحَاكِمُ كُلَّ ذِي جَسَدٍ" (إر ٢: ٢٩، ٢٥: ٣١، ومي ٦: ٢) ويقول له المرنم في المزامير: "ارْتَفِعْ يَا دَيَّانَ الأَرْضِ " (٩٤: ٢).

والسؤال هنا: على من ينادي الرب لكي يسمع صوته؟؟
من الطبيعي والمتوقع أن من يسمع صوت الله هم أولاده فيقول: "اِسْمَعُوا لِي أَيُّهَا التَّابِعُونَ الْبِرَّ الطَّالِبُونَ الرَّبَّ" (إش ٥١: ١). "اسْمَعُوا لِي يَا ذَوِي الأَلْبَابِ .. اسْمَعُوا لِي وَأَصْغُوا لِكَلِمَاتِ فَمِي" (أي ٣٤: ٨، أم ٧: ٢٤) لم يمّل الرب من تكرار صوته وندائه لهم أن يسمعوا قوله (تث ٤: ١، ٢ أخ ٢٠: ٤) إلا أن هذا الشعب مستعد أن يسمع كلمة الله التي تعزيه وتشجعه فقط، ولكن حين تأتي رسالة للتصحيح أو التحذير، كانوا يصمون آذانهم أو يجادلونه (مل ١: ٢، ٣: ١٣) وذلك لأن الخطية زرعت خلافاً بين الله وشعبه بسبب أن الأرض امتلأت ظلماً (تك ٦: ١٢). "لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (رو ٣: ١٢). ساد الفساد السياسي والاجتماعي آنذاك، تراجعت إسرائيل عن عهدها مع الرب كما فعلت "جومر" مع هوشع وذهبت لتعيش مع رجلٍ آخر.

"إِنَّ لِلرَّبِّ مُحَاكَمَةً مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ، لأَنَّهُ لاَ أَمَانَةَ وَلاَ إِحْسَانَ وَلاَ مَعْرِفَةَ اللهِ فِي الأَرْضِ. لَعْنٌ وَكَذِبٌ وَقَتْلٌ وَسِرْقَةٌ وَفِسْقٌ. يَعْتَنِفُونَ، وَدِمَاءٌ تَلْحَقُ دِمَاءً" (هو ٤: ١، ٢)

ما هي مظاهر هذا الفساد؟؟؟
١. **لا أمانة ..** "انْقَرَضَ التَّقِيُّ، لأَنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الأُمَنَاءُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ" (مز ١٢: ١). "قَدْ بَادَ التَّقِيُّ مِنَ الأَرْضِ، وَلَيْسَ مُسْتَقِيمٌ بَيْنَ النَّاسِ" (مي ٧: ٢).
٢.. **لا إحسان:** غابت الرحمة في الأرض: لا حب للقريب، لا تحنن على الفقير والمحتاج.
٣. **لا معرفة لله في الأرض:** عُبِدت الأوثان (أصنام الأمم).. وحين تغيب العلاقة مع الله ويرفض الشعب العهد مع الله ينعكس ذلك في العلاقات مع الآخرين.
٤. **لعن "حلف"**
٥. **كذب:** كذب الناس في قلوبهم تجاه الله، ونسوا أن " كَرَاهَةُ الرَّبِّ شَفَتَا كَذِبٍ " (أم ١٢: ٢٢). "وَلاَ تَكْذِبُوا، وَلاَ تَغْدُرُوا أَحَدُكُمْ بِصَاحِبِهِ" (لا ١٩: ١٣). " تُهْلِكُ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ " (مز ٥: ٦).
٥. **قتل .. ٦. سرقة .. ٧. فسق.. ٨. يعتنفون** (معاملاتهم عنيفة بلا وداعة ولا محبة) ودماء تلحق دماء، إشارة لكثرة الدماء المشتركة.
- هنا نتوقف قليلاً لنفهم أن هوشع ربما يشير لخطية يوآش الملك: ملك يهوذا وشعبه أولئك الذين رجموا زكريا ابن يهوداع الذي رُجم داخل الهيكل (٢ أخ ٢٤: ٢١). حين استخدم الشعب اسم الله في الحلف بالكذب خدعوا الناس وجاءت عليهم اللعنة: "الشَّرُّ يُمِيتُ الشِّرِّيرَ " (مز ٣٤: ٢١).

بعد أن يتلو القاضي لائحة الاتهام، فقد كسروا القوانين الإلهية وتعدوا على وصايا الناموس بحسب (خر ٢٠: ١ – ١٧) ولانتشار الشر بين كل الفئات على كل المستويات، إذ تخطى كل الفواصل وتقسوا جداً ولهذا سيحصدون جزاء شرورهم .. الشعب وأيضاً الكهنة،

فما هي النتائج التي سيحصدونها؟؟

"لِذلِكَ تَنُوحُ الأَرْضُ وَيَذْبُلُ كُلُّ مَنْ يَسْكُنُ فِيهَا مَعَ حَيَوَانِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، وَأَسْمَاكِ الْبَحْرِ أَيْضًا تَنْتَزِعُ" (هو ٤: ٣)

١. **خراب ودمار** "تَنُوحُ الأَرْضُ وَيَذْبُلُ كُلُّ مَنْ يَسْكُنُ فِيهَا مَعَ حَيَوَانِ الْبَرِّيَّةِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، وَأَسْمَاكِ الْبَحْرِ أَيْضًا تَنْتَزِعُ" (٤: ٣).
لأن الأرض ملكاً للرب "لأَنَّ لِيَ الأَرْضَ، وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عِنْدِي" (لا ٢٥: ٢٣)، وبسبب الخطية قد تنجست الأرض (لا ١٨: ٢٥ – ٢٨). ولهذا يؤدب الرب في كثير من الأحيان بالجفاف، والخراب والمجاعات، ترسل من قبل الرب للتأديب ولامتحان شعبه (تث ٢٧ – ٢٨).

٢. **مجتمع فاسد بسبب القادة العميان:** "فَتَتَعَثَّرُ فِي النَّهَارِ وَيَتَعَثَّرُ أَيْضًا النَّبِيُّ مَعَكَ فِي اللَّيْلِ " (٤: ٤، ٥) القادة العميان الجهال يُعدوا شعباً جاهلاً .. هذا الشعب الذي كان من المفترض أن يكون ملحاً للأرض ونوراً للعالم.. أصبح فاسداً (مت ٥: ١٣ – ١٦).
من هم الكهنة الذي يتحدث عنهم؟ عندما انقسمت المملكة بعد موت سليمان، هرب الكهنة واللاويون وتركوا مسارحهم وأملاكهم، وانطلقوا إلى يهوذا (٢ أخ ١١: ١٤)، وأقام يربعام لنفسه كهنة لم يعرفوا الله ولا الناموس إذ كان كل همهم أن تكون لديهم وظيفة تمدهم بالطعام والملبس. وصاروا مع الزانيات هم وأولادهم فلا لوم إذن على شعب يتبع كهنة مثل هؤلاء "اَلشِّرِّيرُ يَتْبَعُ الْخَاطِئِينَ" (أم ١٣: ٢١، ٤: ١٤ – ١٩). رفض الله هذه العبادة التي من صنع البشر، وحذر العاملين بها "الكهنة" من كارثة سريعة، فهم يسألون الأوثان بدلاً من البحث عن مشيئة الله، وكلما اندفع الكهنة في شهواتهم وخطيتهم كلما ضل الشعب أكثر .. وجاءوا بذبائح أكثر .. وتمتع الكهنة بملذاتهم أكثر وأكثر وهكذا.

٣. **رفض الشعب معرفة الله:** "قَدْ هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ. لأَنَّكَ أَنْتَ رَفَضْتَ الْمَعْرِفَةَ أَرْفُضُكَ أَنَا حَتَّى لاَ تَكْهَنَ لِي. وَلأَنَّكَ نَسِيتَ شَرِيعَةَ إِلهِكَ أَنْسَى أَنَا أَيْضًا بَنِيكَ " (هو ٤: ٦) يتحدث هنا عن معرفة اختبارية، شخصية (أي علاقة حميمة) وهو المقصود من كلمة " الْمَعْرِفَةِ " وكثيراً ما عاتب الرب شعبه على غياب هذه المعرفة فقال "شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ.. هُمْ لاَ يَعْرِفُونَ أَفْكَارَ الرَّبِّ " (إش ١: ٣، مي ٤: ١٢)، رفضوا النور ولم يسروا بمعرفة الرب ولا طرقه والنتيجة:

I. . يرفضهم: "سأقول لهم .. أبعدوا عني لا أعرفكم" أو كما يقول حزقيال: "وَلاَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيَّ لِيَكْهَنُوا لِي، ...، بَلْ يَحْمِلُونَ خِزْيَهُمْ وَرَجَاسَاتِهِمِ الَّتِي فَعَلُوهَا (حز ٤٤: ١٣).
II. ينسى بنيهم: لأنهم نسوا قوانين الله ولم يريدوا أن يحفظوها في ذهنهم وقلبهم، ولم يعلموها لأولادهم في صغرهم ليتذكروها في شبابهم (تث ١١: ١٩، ٦: ٧) فلن ينجح أولادهم بل إلى الفقر والعوز .. ولعل ما حدث لبيت عالي الكاهن صورة تؤكد هذا الكلام (١ صم ٢: ٢٢، ٤: ١٧).

٣. **يبدل الكرامة بهوان:** قديماً قال عنهم الرب وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً (خر ١٩: ٦)، ولكن برفضهم معرفة الرب. فقد تدنس إكليلهم. وصادر الرب كرامتهم " مُنْتَفِخُ الْقَلْبِ لاَ أَحْتَمِلُهُ" (مز ١٠١: ٥)، والرب "أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ" (لو ١: ٥٢).

٤. **كهنة يربعام أكلوا الذبائح التي كان يقدمها الشعب** عن خطاياهم وخطيتهم هي: إما أنهم أكلوا ما يحق للكهنة الحقيقين أن يأكلوه أو أنهم أكلوا ولم يعلموا الشعب الطريق الصحيح "فَسَدُوا وَرَجِسُوا رَجَاسَةً" (مز ٥٣: ١)، والنتيجة "تَأْكُلُونَ وَلَيْسَ إِلَى الشِّبَعِ" (حج ١: ٦) "أَنْتَ تَأْكُلُ وَلاَ تَشْبَعُ، وَجُوعُكَ فِي جَوْفِكَ" (مي ٦: ١٤).
ويستخدموا أشر الطرق للزيادة والكثرة ولا يتحقق ولكن شركاء الخطية سيصيروا شركاء الدمار.. كان هدفهم أن يبرروا أنفسهم ولكن الآبار المشققة لا تضبط ماء..
أولئك الكهنة المزيفون الذين لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ اللهِ، وَأَبَوْا السُّلُوكَ فِي شَرِيعَتِهِ (مز ٧٨: ١٠)، لِذلِكَ كَمَا يَأْكُلُ لَهِيبُ النَّارِ الْقَشَّ، وَيَهْبِطُ الْحَشِيشُ الْمُلْتَهِبُ، يَكُونُ أَصْلُهُمْ كَالْعُفُونَةِ (إش ٥: ٢٤). لذلك يقول الرب: "اِسْمَعِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ: هأَنَذَا جَالِبٌ شَرًّا عَلَى

هذَا الشَّعْبِ ثَمَرَ أَفْكَارِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَصْغَوْا لِكَلاَمِي، وَشَرِيعَتِي رَفَضُوهَا" (إر ٦: ١٩)، لن يعاقبهم أو يؤدبهم لأنهم لم يعودوا أبنائه.

أخيراً في نهاية جلسة المحاكمة يوجه الرب كلامه لليهودية (مملكة يهوذا) إن كانت العشرة أسباط قد تقسي قلبهم وصار الأمل في رجوعهم للرب شبه مستحيل .. زنى جسدي وروحي .. (عبادة أوثان من أيام يربعام الأول).. فالأعداد (١٥ – ١٩) يُحذر السبطين (يهوذا) أن لا يكونوا في شر مثل إخوتهم أو يعثروا في نفس الإثم .. ولا يجذبوا الآخرين للسقوط أيضاً .. فطالما يعبدون أوثان لماذا يحلفوا باسم الرب الحي؟؟ ولا يذهبوا إلى للجلجال أو بيت إيل.. حتى لو كانت أماكن ذات دلائل أو ذكريات مقدسة. تحولت وصارت لعبادة الأوثان.
إسرائيل يصفها بالبقرة الجامحة أي أنها لا تقبل التصحيح .. تندفع وراء شهواتها.. ظنوا أنهم بلا قيود في تمردهم على وصايا الله، قد تحرروا منه.. ولكنهم يرعون في مراعي واسعة كخروف يُجهّز للذبح .. أحبوا الأصنام .. قيدوا بها .. رفضوا الاستماع للرب .. متى سكروا بالخمر، ذهبوا للزنا .. أحبوا المذلة والهوان لذلك صاروا كعصافة تحملها الريح (ويقصد بها ذهابهم إلى أشور في السبي وهناك خجلوا من أوثانهم التي لم تحميهم.

أسئلة للدراسة والبحث

1. هناك تحذيرات كتابية شديدة من نسيان الرب.. ما هي الظروف التي تتسبب في ذلك (تث ٤: ٩، ٦: ١٠، ١١، ١٢، مز ٥٠: ٢٢).
2. في رسائل بولس الرسول تحذيرات كثيرة من الكذب أين تجد ذلك في كو ٣، أف ٤.
3. الخطية سر الدمار والخراب أين تجد ذلك:
(تث ٢٨: ٦٧، قض ٢: ١٥، مز ١٠٧: ١٧، أي ١٥: ٢٠).
4. الذين يحتقرونني يصغرون (١ صم ٢: ٣٠) هل تجد في هذا الإصحاح تأييد لهذا الشاهد؟